الحياة الطيّبة
السنة 27
العدد 54 - 55
صيف-خريف 2023م



# الأنثروبولوجيا: المفهوم، الوظيفة والدور

الشيخ حسن أحمد الهادي[1]

الحمد للّه ربّ العالمين، وصلَّى اللّه على سيّدنا محمّد، وآله الطاهرين، وبعد...

الأنثروبولوجيا (Anthropology) هي علم دراسة الإنسان طبيعيًّا واجتماعيًّا وحضاريًّا، والمصطلح منحوت من كلمتين يونانيّتين (Anthropos) وتعني الإنسان، و(Logos) وتعني العلم، فيكون المعنى منهما علم الإنسان[2].

والأنثروبولوجيا بوصفها علمًا ولدت في القرن التاسع عشر الميلاديّ في الغرب، لكنّ تطبيقاتها ومعانيها الجزئيّة تختلف من بلدٍ غربيٍّ إلى آخر؛ ففي أميركا تعني الأنثروبولوجيا دراسة الإنسان من الناحيتين العضويَّة والثقافيَّة، مع إضافة دراسة حضارات ما قبل التاريخ، ودراسة اللغات وما شاكل. أمَّا في أوروبا فإنَّها ظهرت أوَّلًا لدراسة التاريخ الطبيعيّ للإنسان.

وما يصطلح عليه الأميركيّون بالأنثروبولوجيا الثقافيّة، يعدّه الفرنسيّون أثنولوجيا ويدرسونها تحت مظلّة علم الاجتماع، ومن دون إدراج اللغات والحضارات القديمة (الأركيولوجيا) فيها. أمَّا في الاتِّحاد السوفياتيّ ودول شرق أوروبا، فإنَّهم يستخدمون الأثنوجرافيا، وهي تعنى بدراسة التنظيم الاجتماعيّ للمجتمعات البدائيّة، ثمّ كيفيّة تحوُّلها إلى دولٍ جديدةٍ، وما يطرأ عليها من تحوُّلاتٍ طبقيَّة[3].

(1) رئيس تحرير مجلّة الحياة الطيبة.

(2) انظر: سليم، شاكر مصطفى: قاموس الأنثروبولوجيا، ط1، لا م، لا ن، 1981م، ص56.

(3) انظر: فهيم، حسين: قصَّة الأنثروبولوجيا فصول في تاريخ علم الإنسان، مجلَّة عالم المعرفة (تصدر عن

وبسبب وجهات النظر المختلفة هذه، ربّما يحصل تفاوتٌ بين المفكّرين الأنثروبولوجيّين في رسم حدود هذا العلم، وعدم اتّفاقٍ على تحديد معالمه العامّة وتعريفه ونطاق عمله؛ إذ لكلّ تيّارٍ ومذهبٍ فكريّ أنْ يرسم لنفسه نظريّةً أنثروبولوجيّةً خاصّةً، تتوافق مع بيئته الثقافيّة والاجتماعيّة والدينيّة، طالما أنّ المصطلح موسّعٌ يشمل جميع هذه الأمور؛ لأنَّه علم دراسة الإنسان بكلّ شؤونه، وإنْ لم يكن هكذا في بداياته، فهو كغيره من المفاهيم والمصطلحات محكوم بتطوّر العلوم.

وبنظرةٍ تاريخيَّةٍ مجملةٍ نجد أنّ الأنثروبولوجيا بوصفها مفهومًا مورس منذ زمنٍ قديم، والغرب كعادته يحاول إرجاع كلّ الأمور إلى عصر الإغريق، وبهذا الخصوص -أي دراسة الإنسان- يشيرون إلى هيرودتس (484-425ق.م) الذي قام برحلاتٍ استكشافيّةٍ، واكتسب معرفةً جيّدةً عن العديد من الشعوب الأخرى، ودوّن مشاهداته عن تلك الشعوب في المأكل والملبس وطريقة العيش، ممَّا يعدّ اللبنة الأولى لعلم الأنثروبولوجيا الحديث[1].

أمَّا مصطلح الأنثروبولوجيا فقد وقع الخلاف في زمن ظهوره، «إذا قيّدنا أنفسنا بالأنثروبولوجيا كفرعٍ من فروع المعرفة العلميّة، يمكن للبعض أنْ يتعقّبه بالعودة إلى عصر التنوير الأوروبيّ خلال القرن الثامن عشر. ادّعى البعض أنّ الأنثروبولوجيا لم تبرز كعلم حتّى خمسينيّات القرن التاسع عشر، مع ذلك جادل آخرون أنّ البحثً الأنثروبولوجيّ بمعناه المعروف في الوقت الحاضر استهلّ فقط بعد الحرب العالميّة الأولى»[2].

وإذا أردنا أنْ نرجع إلى عصر الأنوار، فالأنظار تتّجه جميعًا نحو فيكو

المجلس الوطنيّ للقافة والفنون والآداب)، الكويت، فبراير 1986م، العدد 98، ص13-16.

(1) انظر: هايلاند إيركسون، توماس؛ سيفرت نيلسون، فين: تاريخ النظريَّة الأنثروبولوجيَّة، ترجمة: لاهاي عبد الحسين، ط1، الجزائر، منشورات الاختلاف؛ بغداد، دار أوما؛ الرياض، منشورات ضفاف، 1434هـ.ق/2013م، ص12.

(2) م. ن، ص11.

(1668-1744) الذي وضع مخطّطًا كونيًّا للتطوّر الاجتماعيّ ضمن أربع مراحل: 1 - الحالة البهيميَّة، 2 - عصر الآلهة، 3 - عصر الأبطال، 4 - عصر الرجال. وعليه، «كان فيكو الرائد الإيطاليّ في فرنسا عندما أخذت الخطوات الأولى باتّجاه إنشاء الأنثروبولوجيا كعلم»[1].

وقد أسهم كثيرٌ من المفكِّرين في بلورة هذا الحقل العلميّ، من قبيل مونتسكيو (1689-1755)، الذي حاول في كتابه الرسائل الفارسيّة في نقد مجتمعه الفرنسيّ عن لسان الغير، وهي تقنيَّةٌ استخدمها علماء الأنثروبولوجيا لاحقًا، لوصف المجتمع من وجهة نظر شخصٍ خارجيّ. وكذلك يمكن الإشارة إلى جماعةٍ من المثقّفين المثاليّين الشباب في فرنسا بقيادة الفيلسوف دنيز ديدرو (1713-1784)، وعالم الرياضيّات جان لي روند أليمبيرت (1717-1783)، الذين كان هدفهم أنْ يجمعوا بمقدار ما يستطيعون المعرفة في نظامٍ يسعى لزيادة تقدّم العقل والتطوّر والعلم والتكنولوجيا[2].

وقد تطوّر علم الأنثروبولوجيا أبان الحرب العالميّة الأولى، وقد أسهم في بلورته أربعة أفراد بارزين، وهم كلٌّ من: فرانز بوا (1858-1942)، وبرونسلاف مالينوفسكي (1884-1942)، و أ. آر. رادكليف براون (1881-1955)، ومارسيل موس (1872-1950).

ولم يكن بين هؤلاء الأربعة برنامجٌ مشترك، بل «كانت هناك اختلافاتٌ منهجيّةٌ ونظريّةٌ مهمّةٌ بين المدارس التي أوجدوها، والتي قد يتم تعقّبها حتّى اليوم في الأنثروبولوجيا الفرنسيّة والبريطانيّة والأميركيّة»[3].

ونحن هنا في هذه العجالة لا نروم الخوض في تفاصيل الأنثروبولوجيا، إلّا بمقدار ما يخصّ بحثنا في هذه الدراسة، وهو تأثير المنهج الأنثروبولوجيّ

(1) هايلاند وآخرون، تاريخ النظرية الأنثروبولوجيّة، م. س، ص24.
(2) انظر: م. ن، ص25.
(3) م. ن، ص63.

في القراءة الدينيّة في العالم الإسلاميّ، وإلّا فالأنثروبولوجيا تنقسم وتتنوّع بحسب الدول الغربيّة الكبرى كما مرّ، فهناك أنثروبولوجيا بريطانيّة، وفرنسيّة، وألمانيّة وأميركيّة، يختلف بعضها عن بعضها الآخر في المسارات العامّة والخاصّة[1].

وقد ظهرت الأنثروبولوجيا لتجيب عن سؤالٍ رئيسٍ، وهو: **كيف يستطيع أُناسٌ ذوو مظاهر جسميّةٍ متباينة، ولغاتٍ لا يفهم متكلّموها بعضهم بعضًا، وطرقٍ متنافرةٍ في العيش، أنْ يتعايشوا سلميًّا؟**

وتتفرّع من هذا السؤال الرئيس أسئلة فرعيّة عدّة، منها: ما الأساس العامّ المشترك بين أفراد القبائل والأوطان المختلفة؟ وما الفروق الموجودة بينهم؟ ما سبب تلك الفروق، وما مدى عمق تلك الفروق؟ ما الطريق الذي سلكه الإنسان بوصفه كائنًا حيًّا وحضاريًّا في تطوّره؟ هل هناك أيّة أُسسٍ أو قوانين عامّةٍ تتحكّم في ذلك التطوّر؟ ما العلاقة الحتميّة -إنْ وجدت- بين الصفات الطبيعيّة للإنسان، واللغة، والعادات في ماضيه وحاضره؟[2].

**الإجابة عن هذه الأسئلة**، وغيرها من الأسئلة الكثيرة المتعلّقة بسلوك الإنسان الاجتماعيّ والاقتصاديّ والسياسيّ والثقافيّ، هي التي كوّنت هذا العلم، وطوّرته إلى اتّجاهاتٍ ومدارس مختلفة، حاولت كلّ واحدةٍ منها الإجابة عن تلك الأسئلة بما يتوافق مع بيئتها الثقافيّة والعلميّة والطبيعيّة.

ولم تكن الأنظار تتّجه نحو الأنثروبولوجيا في بداياته الأولى، لكن بمرور الزمن وتطوّر العلوم وتوسّع البشريّة في شتّى المجالات، بات الاهتمام بهذا العلم كبيرًا. لاسيّما أنّه يمتزج ويضاف إلى كثيرٍ من العلوم، وبإمكانه أنْ يفتح لها آفاقًا جديدة. فنرى ظهور أنثروبولوجيا الفنّ، والتنمية، والفلسفة، والجغرافيا، والدين، وغيرها، ما يكشف -لنا- عن سعة نطاق الأنثروبولوجيا.

(1) للمزيد انظر: فريدريك بارث وآخرون، الأنثروبولوجيا حقل علميّ واحد وأربع مدارس، ترجمة: أبو بكر أحمد باقدر؛ إيمان الوكيلي، مراجعة: ساري حنفي، ط1، بيروت، المركز العربيّ للأبحاث ودراسات السياسات، 2017م.

(2) انظر: كلوكهون، كلايد: الإنسان في المرآة، ص1-11.

وهذا ما تنبّأ به كلايد كلاكهون من أنّ الأنثروبولوجيا ستؤدّي دورًا رئيسًا في تكامل العلوم البشريّة، إذ قال في ذلك: «فعلم الإنسان الجامع يجب أنْ يحتوي على قابليّاتٍ وعنايةٍ ومعرفةٍ إضافيّة، ولابدّ أنْ تمتزج بعض أوجه الدراسات النفسيّة والطبيّة والحياتيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والجغرافيّة البشريّة بالدراسات الأنثروبولوجيّة مكوّنةً علمًا واحدًا عامًا، كما يجب أنْ يستعمل هذا العلم الطرق التاريخيّة والإحصائيّة في البحث، وأنْ يستنبط المادّة العلميّة من علم التاريخ وغيره من العلوم الإنسانيّة»[1].

وتنقسم الأنثروبولوجيا إلى قسمين رئيسين: الأنثروبولوجيا الطبيعيّة أو الإحيائيَّة، والأنثروبولوجيا الثقافيّة أو الاجتماعيّة. ففي الأنثروبولوجيا الطبيعيّة يكون الاهتمام بالمسائل الوراثيّة والفسلجيّة والتشريح والأحياء، وكلّ ما يخصّ تطوّر الإنسان بيولوجيًّا. أمّا الأنثروبولوجيا الثقافيّة فهي المهتمّة بدراسة علاقات الإنسان مع نفسه ومع الآخرين ومع البيئة، للوقوف على سلوكه، واستكشاف الروابط والعلاقات التي تحكمه، وما تنتج من أعمالٍ ثقافيّةٍ واجتماعيّةٍ مختلفة[2].

إنّ مصطلح الأنثروبولوجيا الدينيّة يثير «قضيّة أكثر بكثيرٍ من تسمية الأنثروبولوجيا السياسيّة أو الاقتصاديّة إلخ، في نظر العلوم الدينيّة التي تبحث في الثوابت الأنثروبولوجيّة للوجود البشري عن آثار إنسانٍ متديّنٍ بطبعه، وعن دلائل حالةٍ دينيّةٍ متجذّرةٍ نهائيًّا في الإنسان»[3]. وخلاصة الأمر أنّ الأنثروبولوجيا بوصفها منهجًا لقراءة الدين وتفسيره، تقتصر على تفسيره ماديًّا منقطعًا عن الغيب، مع إرجاع جميع المعالم الدينيّة إلى حالاتٍ نفسيّةٍ أو اجتماعيّة ظهرت في ظروفٍ خاصّة.

(1) كلوكهون، الإنسان في المرآة، م.س، ص1-2.

(2) للمزيد انظر: ج. بيلتو، بيرتي: دراسة الأنثروبولوجيا المفهوم والتاريخ، ترجمة: كاظم سعد الدين، بغداد، بيت الحكمة، ضمن سلسلة عالم الحكمة (سلسلة كتب ثقافيَّة شهريَّة يصدرها بيت الحكمة العراقيّ)، 2010م، العدد24، ص18 فما بعدها.

(3) بونت، بيار؛ إيزار، ميشال؛ وآخرون: معجم الأثنولوجيا والأنثروبولوجيا، ترجمة وإشراف: مصباح الصمد، ط2، بيروت، المؤسَّسة الجامعيَّة للدراسات والنشر والتوزيع «مجد»، 1432هـ/2011م، ص206.

وإنّ نظرة المنهج الأنثروبولوجيّ للدين ليست كنظرة أصحاب الديانات السماويّة التي تعتقد بنظام الخلقة والألوهيّة، فقد ذهب الأنثروبولوجيّ غيرتز إلى أنّ الدين منظومةٌ ثقافيّة[1]، وهذا ما يعترف به باحثٌ آخر حيث يقول: «لا تقتصر أنثروبولوجيا الدين على وصف الأمور الدينيّة وتفنيدها وتصنيفها، بل ترى أنّ الدين جزء من الثقافة، ويبحث عن أوجه الشبه والاختلاف بين المظاهر الدينيّة في المجتمعات المختلفة وتفسيرها، دون أن تميّز مؤسَّسة التوحيد التي شكّلت ضمائرنا في الغرب، ولا يقتصر ذلك فقط على دراسة العهود القديمة أو العالم الثالث، بل يهتم أيضًا بالطقوس النيباليّة، والأساطير الأفريقيّة في غينيا، والشامانيّة السيبيريّة، وسحرة إقليم بريطانيا، وتركّز الأنثروبولوجيا على المجتمعات صغيرة الحجم ذات الثقافة المحدودة والعتيقة أحيانًا، والتي ينصهر فيها العادات القبليّة والدين»[2].

هذه النظرة الاختزاليّة للدين، لا تقتصر على الأنثروبولوجيا، بل هي نتيجة جميع الدراسات الإنسانيّة والاجتماعيّة المادّيّة التي انقطعت عن الغيب واتّجهت نحو المادّة والطبيعة، وأرجعت جميع الأمور إليها. وليس الدين بمعزلٍ عن هذا التوجّه المادّيّ الصرف ففي «بداية القرن العشرين اعتقد علماء النفس والفلسفة أنّهم أوضحوا أنّ الدين البدائي الذي يسود فيه معنى العجيب والغامض والخارق، قد نشأ من الاندهاش المخلوط بالخوف المؤثّر على الخيال الذي يجسّد في كائنات أسطوريّة رغائبنا واحتياجاتنا»[3].

علمًا بأنّ أنثروبولوجيا الأديان تنطلق من جيمس فريزر (1854-1941)، الذي وضع اللبنات الأولى لهذا الفرع، فقد اهتمّ بتجميع العادات والطقوس القديمة من مختلف نقاط العالم.

(1) انظر: بونت وآخرون، معجم الأنثوبولجيا الأنثروبولوجيّا، م. س، ص208.
(2) ريفيير، كلود: الأنثروبولوجيا الاجتماعيّة للأديان، ترجمة وتقديم: أسامة نبيل، ط1، القاهرة، المركز القوميّ للترجمة، 2015م، ص20.
(3) م. ن، ص73.

ثمّ استمرّت أنثروبولوجيا الدين واستعانت بكلّ ما له صلةٌ بالدين من علم النفس الدينيّ، وعلم الاجتماع الدينيّ، ونحو ذلك، وطرحت أسئلةً محوريّةً تدور حول: ما هي الديانة الأكثر بساطة؟ هل الأصل ديانة التوحيد أم تعدّد الآلهة؟ هل يوجد تصوّرٌ متطوّرٌ يتجاوز فكرة الدين ويكون على المستوى العالمي؟ هل ترتبط المشاعر دائمًا بالشعيرة؟ هل المجهول الغامض سابقٌ لفكرة الإله؟ هل توجد ديانةٌ غير تلك التي تستند إلى تقاليد؟ هل تعدّ الأديان السماويّة أرقى من الديانات الأخرى؟[1].

هذه الأسئلة وغيرها هي التي شغلت أنثروبولوجيا الدين، وللإجابة عليها ظهرت مجموعة مصطلحاتٍ، تمّ إرجاع نشأة الدين إليها، مثل: الأسطورة التي تشغل حيّزًا واسعًا من الفكر الأنثروبولوجيّ الدينيّ، حيث تحاول تفسير المنظومة الكونيّة وفقها، وجعلها الجذر الأساس للدين بمنأى عن الله الخالق القادر؛ والطوطم الذي له أهميّة خاصّة في الأنثروبولوجيا أيضًا؛ والتابو، ويُقصد به عمليّة منع ذات سمةٍ مقدّسةٍ متّصلة بكلّ ما هو محرّم، سواء أكان التحريم بسبب القدسيّة أم لأنّه نجس؛ والمُقدَّس، ويُقصد به التفوّق والسموّ والعظمة المطلقة للإله لكماله وقدرته؛ والشعيرة، وهي «مجموعة من الأفعال المتكرّرة والمقنّنة التي تكون غالبًا وقورة، ولها نظام تأديةٍ شفهيّ أو حركيّ، ومحمّلة بالرمزيّة، وقائمة على الإيمان بالقوّة الفعّالة للقدرة العليا التي يحاول الإنسان أن يتّصل بها بغرض الحصول على نتيجة مرجوّة»[2].

**ختاماً:** إنّ المنهج الأنثروبولوجي كغيره من المناهج، له نطاق محدّد، ولابدّ من تقييمه ضمن ذلك النطاق، وهو أيضًا منهجٌ كسائر المناهج يصدق تارةً ويخطئ أخرى، بمعنى أنّ نتائجه نسبيّةٌ وغير مطلقة، وعليه فإنّه لا ضير في الحفر الأركيولوجيّ لتاريخ الإنسان، والتعرّف على طقوسه

(1) ريفيير، الأنثروبولوجيا الاجتماعيّة للأديان، م. س، ص33.
(2) م. ن، ص150.

وآدابه وشعائره ومناسكه الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة والثقافيّة، طبقًا لمعطيات الآثار ومدوّنات كتب التاريخ، ولا بدّ من الالتفات إلى أنّ هذه المعطيات صامتةٌ لا تنطق، والمناهج الغربيّة المادّيّة والإثباتيَّة تحاول أنْ تفسّرها طبقًا لمبانيها الفكريّة التكامليَّة، فالنتائج المتوصّل إليها غير قطعيّةٍ، وتبقى فرضيّاتٍ علميّةً كغيرها من الفرضيّات قد تخطئ وقد تصيب، وتنتظر دائمًا معطياتٍ جديدةً لتعرض نفسها عليها، وهكذا إلى ما لا نهاية.

ولا يختلف الإسلام مع معطيات الأنثروبولوجيا الطبيعيّة في دراستها لنمط عيش الإنسان وتفاصيل خلقته من وجهة نظرٍ إحيائيّة، ولكن نعتقد أنّه من غير الصحيح تطبيق منهج يختصّ بالظواهر الطبيعيّة على الظاهرة الدينيّة، لاسيّما الإسلام والقرآن والوحي الإسلاميّ، الذي ثبت في محلّه إطلاقه وخاتميّته للأديان، وعدم تاريخيّته. وإذا أذعن الإنسان -كأصل مثبت- بوجود الله والرسالة، وأنّها تخصّ الإنسان، ولها هدفٌ وغاية، فحينئذٍ لا يمكنه التمسّك بالمنهج الأنثروبولوجيّ وغيره من المناهج المادّيّة التي لا تعترف بوجود الغيب والميتافيزيقا، بل تقتصر على عالم الدنيا، وتجعل جميع الغيبيّات في عداد الأساطير والخرافات والتي ولدت ضمن الظروف الاجتماعيّة والثقافيّة التي مرّت بها البشريّة، كأن لم تكن هناك شريعة وسماء وغيب ورسالة وخِلقة.

وإنّ المنهج الدينيّ لا يخالف ما توصّلت إليه الدراسات الأنثروبولوجيّة في دراستها عادات الناس، وتقاليدهم المختلفة الدينيّة وغير الدينيّة، لاسيّما الشعوب التي ابتعدت عن الدين الخالص، فمزجت الخرافات ببعض التعاليم الدينيّة التي توارثوها عن الآباء والأجداد، إذ إنّ هذه الدراسات تكشف ما كان ويكون عليه مجتمع مّا، ولكن نقطة الخلاف بين المنهج الدينيّ والمنهج الأنثروبولوجيّ تكمن في جعل الأديان والطقوس في سلّةٍ واحدة، وإرجاع نشأتها إلى الظروف الاجتماعيّة والنفسيّة والثقافيّة وغيرها.

إنّ المنهج الصحيح هو تفسير الإنسان في ضوء الدين لا العكس، فالإنسان من وجهة نظرٍ دينيّةٍ يُفسّر في ضوء نقاط عدّة، ومن خلال هذه النقاط يُقيّم:

- خلقة الإنسان، فإنّه خُلق بنفخةٍ إلهيّة: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[1].
- خلافة الإنسان، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[2].
- الكرامة الإنسانيّة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[3]. والكرامة هذه في الخطاب الدينيّ ليست مطلقة، بل منوطة بالتقوى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[4]، ومن ترك التقوى وانغمس في الشهوات يفقد الكرامة هذه، يقول تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[5].
- عبادة الله وترك الأهواء والشيطان، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[6].
- إرسال الرسل لهداية الإنسان؛ إذ لا يمكنه الاهتداء وطيّ الطريق بنفسه؛ لأنّه غير عالم بطرق السماء: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[7].
- إرسال الرسل لم يكن اعتباطيًّا بل يندرج تحت الاصطفاء الإلهي: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[8].

(1) سورة الحجر، الآية 29.
(2) سورة البقرة، الآية 30.
(3) سورة الإسراء، الآية 70.
(4) سورة الحجرات، الآية 13.
(5) سورة الأعراف، الآية 179.
(6) سورة يس، الآيتان 60-61.
(7) سورة النساء، الآية 165.
(8) سورة آل عمران، الآية 33.

- الحياة الدنيويّة لم تكن فوضى، بل هي مبنيّة على نظام الثواب والعقاب، فكلّ عملٍ له أجرٌ وجزاء: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾[1].

- لم يخلق الإنسان عبثًا ليعيش في الدنيا أيّامًا ثمّ يموت، وينتهي كلّ شيء، بل له موعدٌ لا يخلفه يجازى فيه على أعماله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[2]. ولم يتمسّك الكافرون في إنكار المعاد إلّا بالظنون الخاوية من دون أنْ يكون لهم دليل: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[3].

هذه النظرة إلى الإنسان لا تتوافق مع المناهج المادّيّة التي تقتصر على حياة الدنيا، وترى غاية الإنسان الوصول إلى الأهواء والشهوات الدنيويّة، **فالمنهج الأنثروبولوجيّ لا يستقيم لقراءة الدين والإنسان الديني بتاتًا، والتمسّك به يعطينا قراءةً مشوّهةً وغير مستقيمةٍ عن الدين والإنسان، وهذا المنهج إنْ كان صالحًا فصلاحيّته تنحصر في نطاقه الخاصّ والضيّق، وهو دراسة الظواهر الإنسانيّة في مختلف المجتمعات القديمة والحديثة، ولا يمكنه أنْ يتعدّى طوره ليحاكم الغيب، ويزنه بميزانه فإنّه لا يرقى إلى ذلك**[4].

والحمدلله ربّ العالمين



(1) سورة النساء، الآيتان 123-124.
(2) سورة المؤمنون، الآية 115.
(3) سورة الجاثية، الآية 24.
(4) انظر: الميلاني، هاشم: أثر المناهج الغربيّة في تغريب القراءة الدينيّة في العالم الإسلاميّ الحديث والمعاصر تحليلٌ ونقدٌ، بتصرُّف.